University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الرابع – ديسمبر 2015

الحياة الثقافية بمملكة كلوه الإسلامية فيما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر الخامس عشر الميلاديين

د. حمد محمد الجهيمي

(عضو هيئة تدريس بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية كلية الدارسات الإسلامية جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية - البيضاء – ليبيا)

الحياة الثقافية بمملكة كلوه الإسلامية فيما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر الخامس عشر الميلاديين

ملخص الدراسة

تناولت الدراسة الحياة الثقافية في مملكة كلوه الإسلامية فيما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين ، وقد جاءت في تمهيد وستة محاور تتبعها خاتمة وثبت بالمصادر والمراجع. ففي المحور الأول والموسوم " نشأة مملكة كلوه" تبين لنا أن لنشأة هذه المملكة على ساحل أفريقيا الشرقي أهمية بالغة في تاريخ المملكة ثقافياً. أما في المحور الثاني والموسوم " عوامل ازدهار الحياة العلمية والثقافية" فقد اتضح أن تلك المملكة قد شهدت قيام نهضة علمية وثقافية ساعدت في ازدهارها ثقافياً. وفي المحور الثالث والموسوم "نظام التعليم" تبين أن التعليم قد حظي بأهمية بالغة لدى الأهالي، حيث شهدت تلك المملكة مراحل متقدمة من التعليم، فعرفت العديد من المساجد والمدارس التي كانت سبباً في تقدمها ثقافياً. أما في المحور الرابع والموسوم " بالطرق الصوفية" فقد اتضح أن هذه الطرق لعبت دوراً مهماً في نشر الثقافة العربية الإسلامية بمملكة كلوه وذلك على أيدي شيوخ هذه الطرق الذين كانوا يقومون بالوعظ والإرشاد الديني. وفي المحور الخامس والموسوم " باللغة العربية وأثرها في الحياة الثقافية بمملكة كلوه " تبين أن تلك اللغة مثلت أحد مظاهر الحياة الثقافية بمملكة كلوه، حيث انتشرت العربية نتيجة لاعتناق أهل المملكة الدين الإسلامي. أما في المحور السادس والموسوم " بأشهر العلماء ودورهم في الحياة الثقافية" فقد اتضح أن مملكة كلوه قد أنجبت العديد من العلماء الذين أثروا الحياة الثقافية بجميع فروعها بتلك المملكة.

تمهيد:

من المعروف أن منطقة السودان الشرقي قد تلاحمت في إطارها العربي والأفريقي تلاحماً بشرياً وثقافياً وثيقاً ، وذلك بحكم الروابط الجغرافية والتاريخية الأزلية، وهي عوامل ساعدت على تقوية صلات وانسجام وانصهار شعوب المنطقتين العربية والأفريقية دون تنافر أو تنازع الأمر الذي أدى إلى قيام ممالك إسلامية أفريقية على ساحل أفريقيا الشرقي كمملكة كلوة، والتي أدت دوراً مهما في تطور حياتها الثقافية وذلك بفضل نشأتها الإسلامية، بل أصبحت بفضل تلك النشأة أعظم مراكز الثقافة والتجارة في شرق أفريقيا عامة، فقد قامت تلك المملكة بدورها حتى أنها وقفت على قدم المساواة مع مثيلاتها من العالم الإسلامي ، وأصبح لها شأن عظيم ومكانة مرموقة وصارت تمثل مركز إشعاع إسلامياً للثقافة والتجارة في شرق أفريقيا، ومن هنا جاءت أهمية موضوع البحث وعنوانه " الحياة الثقافية بمملكة كلوه الإسلامية فيما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين".

ونأمل من خلال هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما الأهداف الأساسية وراء إنشاء مملكة كلوه الإسلامية على الساحل الشرقي لأفريقيا؟ وهل اقتصر نشاطها الثقافي على الداخل أم أنها وظفت ذلك النشاط في علاقاتها مع الممالك المجاورة؟ ثم ما دور التعليم في ازدهار تلك المملكة ثقافياً؟ وهل كان للطرق الصوفية دور كبير في نشر العقيدة الإسلامية والثقافة العربية في تلك المملكة؟

سنحاول في هذه الدراسة أن نتتبع الحياة الثقافية في مملكة كلوه خلال فترة الدراسة من خلال المنهج التاريخي الذي يعتمد على سرد الأحداث وتحليلها مستخدماً ما تمكنت الحصول عليه من مصادر ومراجع.

وتعميماً للفائدة ، فقد تم تقسيم البحث إلى المحاور التالية:

المحور الأول: نشأة مملكة كلوه.

المحور الثاني: عوامل ازدهار الحياة العلمية والثقافية.

المحور الثالث: نظام التعليم في مملكة كلوه.

المحور الرابع: الطرق الصوفية.

المحور الخامس: اللغة العربية وأثرها في الحياة الثقافية بمملكة كلوه الإسلامية.

المحور السادس: أشهر العلماء ودورهم في الحياة الثقافية.

المحور الأول : نشأة مملكة كلوه:

مملكة كلوه من الممالك الأفريقية المهمة التي تقع على ساحل أفريقيا الشرقي، وقد أجمل وصفها ابن بطوطة مؤرخ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ذلك بقوله : " هي مدينة عظيمة ساحلية، أكثر أهلها الزنوج المستحكمو السواد ، ومدينة كلوه من أحسن المدن وأتقنها عمارة، والأمطار بها كثيرة ، وأهلها أهل جهاد ، لأنهم في برّ واحد متصل مع كفار الزنوج ، والغالب عليهم الدين والصلاح ، وهم شافعية المذهب"[1] .

وقد ورد اسم كلوه في معاجم الجغرافيين العرب، فذكرها ياقوت الحموي مؤرخ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في معجمه بقوله " كِلْوَه بالكسر ثم السكون وفتح الواو والهاء، مدينة بأرض الزنج"[2] ويسميها الدمشقي مؤرخ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي " كلية زنج المسلمين"[3] ويؤكد البغدادي مؤرخ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ما ذكره ياقوت والدمشقي بقوله عنها : " بأنها موضع بأرض الزنج"[4].

تعددت الروايات حول هجرة مؤسس مملكة كلوه والأسرة الحاكمة بها، وإن كان معظمها يدور حول نقاط معينة فهي تتفق على أن المؤسس الحقيقي لهذه المملكة جاء من بلاد فارس وبالتحديد من شيراز[5] ، وأنه ابن أحد حكام إقليم شيراز، وبعضها يذكر أنه الحاكم نفسه، وأنه حضر مع أبنائه وأتباعه، واشترى جزيرة كلوه من أحد الوطنيين[6] وهناك من يذكر أن رجلاً من شيراز ويدعى الحسن بن علي جاء من منطقة شيراز هو وأبنائه الستة وكان ذلك في حدود عام 365 هـ / 975 م وأن الحسن هذا بعد وفاته خلفه ابنه علي الذي كان محقراً بين إخوته لأنه من أم حبشية، بينما كان إخوته من أمهات بيضاوات، فأراد الخلاص من إخوته ومن استعبادهم له فقرر الهجرة من شيراز والاستيطان بأرض جديدة يطيب له العيش فيها، فهاجر هو ومن كان معه من أهله على متن سفن بحرية حطت بهم على أرض كلوه فأنشأ بها ملكاً له ولأهله من بعده[7].

وعلى أية حال فمهما اختلفت الروايات التاريخية التي تم سردها حول تأسيس ونشأة مملكة كلوه، فالذي يهمنا أن مملكة كلوه قامت في منطقة شرق أفريقيا، وأن تأسيسها يرجع إلى هجرة جاءت من شيراز على الساحل الشرقي من الخليج العربي، وتنسب إلى علي بن سلطان الحسن بن علي وأبنائه الستة في حدود سنة 365 هـ / 975 م.

كان لنشأة مملكة كلوه الإسلامية على ساحل أفريقيا الشرقي أهمية كبيرة في جميع جوانب حياتها، ومنها الثقافية، حيث استطاعت بفضل نشأتها الثقافية أن تكون قاعدة إسلامية عظيمة ومنارة للعلوم الدينية ومركزا إشعاع إسلامي للثقافة والتجارة في شرق أفريقيا.

المحور الثاني: عوامل ازدهار الحياة العلمية والثقافية:

يرى ترمنجهام أنه بالإمكان تقسيم تاريخ الثقافة الإسلامية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة في ساحل شرق أفريقيا إلى فترتين الفترة الأولى: وهي فترة الاستقرار المبكر للعرب والمسلمين في الأماكن الساحلية، حيث اعتنق بعض الزنوج الإسلام، والفترة الثانية ، يمكن أن نطلق عليها الفترة الشيرازية وهي الفترة التي حكمت فيها أسرة عربية أحد مدن الساحل الأفريقي وهي مدينة كلوه وما حولها وعملت على نشر الإسلام والثقافة الإسلامية[8] ، وقد عمل سلاطين هذه الأسرة العربية على نشر الثقافة العربية والدين الإسلامي ، لا سيما أنهم كانوا أهل جهاد والغالب عليهم الدين والصلاح [9].

الحياة الثقافية بمملكة كلوه الإسلامية

اهتم حكام كلوه وسكانها بالعلوم الدينية واللغة العربية وسافر طلاب العلم إلى شبه الجزيرة العربية لينهلوا من علوم المعرفة وبخاصة في الدين والفقه، وكان من بينهم الأمراء مثل السلطان أبي المواهب (708- 735 هـ/ 1308-1334م) [10] قبل ارتقائه عرش السلطنة في كلوه[11] إلى جانب ذلك فقد اتصف بعض سلاطين مملكة كلوه بالزهد والتقوى مثل السلطان داود بن سليمان (738-758هـ / 1333-1356م) وقد قيل عنه إنه ملك الزهد التقي صاحب البراهين في زمانه ويظهر زهده ليس في المال بل في الحكم والسلطان فقد سلم الحكم طائعاً لأخيه أبي المواهب عندما عاد أبو المواهب من رحلته في طلب العلم والحج[12].

ساعد الازدهار والرخاء التجاري الذي ساد في مملكة كلوه الإسلامية على قيام نهضة علمية وثقافية شامخة[13] فقد كثرت الخلاوي[14] وامتدت منتشرة عبر السواحل وزادت حلقات الدرس التي كان يقوم بالتدريس فيها علماء نهلوا من علوم اللغة العربية والفقه والتفسير، ووفد إليهم الطلاب من أنحاء متفرقة[15] ، ولم يقتصر تدريس العلوم الدينية على الرجال فحسب وإنما امتد ليشمل النساء أيضاً فقد نالت نساء كلوه حظاً طيباً من حفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم الدينية واللغة العربية[16] ويذكر ترمنجهام أنه نظراً لعدم السماح بدخول المساجد للنساء، فقد كان هناك مسجدان في كلوه مخصصان للنساء فقط، كما ذكر أن التقاليد الشيرازية في المدن القديمة جرت على السماح للنساء بالعبادة في المسجد بحجبهن عن الرجال بستار في آخر المسجد أو وسطه وقد وجد في بعض مساجد تلك المملكة والمدن التابعة لها ملحق أو قسم خاص لأداء النساء شعائر الصلاة[17] ، وكانت سلطنة كلوه العربية ترسل البعوث العلمية إلى الحجاز والشام والعراق ومصر لتلقى المزيد من العلوم وللحصول على الإجازات العلمية وخاصة من الأزهر الشريف[18].

وخلاصة القول أن ازدهار الحياة العلمية بمملكة كلوه الإسلامية كان له أثره البارز في إثراء الحياة الثقافية بها حيث أسهم التوسع العلمي في انتشار الدين الإسلامي واللغة العربية في المملكة.

المحور الثالث: نظام التعليم في مملكة كلوه:

التعليم الديني:

تمسك سلاطين كلوه بمبادئ الدين الإسلامي، وكان لذلك أثره في حرصهم على التعليم الديني، وفي رعاية رجاله، وكان التعليم الديني يمارس فيما يسمى (بالخلوة) فيتم فيها تعليم القرآن الكريم وحفظه وكانت تتبع فيها طرقاً وأساليب مجربة تكفل بلوغ الغاية من حفظ وتجويد وتعليم القرآن الكريم، وقد اتبعت طريقة الحلقات المستديرة[19] التي يديرها الفقهاء المسلمون الذين كانوا ينهلون العلم من المدارس والجوامع الإسلامية العريقة في مصر والعراق[20] ، وفي هذه الحلقات كان يظهر المعلم في الخلوة وهو ممسك بعصاه التي لا تفارقه وهي جاهزة للوعيد، ويعاقب بها التلميذ المتلاعب غير الجاد، وكان والد التلميذ يعطي صلاحيات واسعة لمعلم الخلوة تساعده على أداء واجبه نحو الطفل وترشيد سلوكه في تعليمه القويم، وكان العقاب عنصراً حاسماً في حفظ القرآن ،وكان يبدأ بالتأنيب والتوبيخ ويتصاعد إلى التهديد والتخويف كجزاء نفسي، وكان للحاصلين على العلم في شرق أفريقيا مكانة مرموقة ويحظون بمركز ممتاز في المجتمع بعد أن يجبرهم شيوخهم بعد حضور حلقات الدروس التي يلقونها، وعندما يكملون دراستهم يمنحون إجازة تعطيهم حق القراءة على الآخرين[21].

وقد اشتهرت مدينة زيلع بدراسة فقه المذهب الشافعي[22] ،كذلك انتظمت دراسة الحديث والتفسير والفقه في كلوه[23] وممبسة[24] ، وعمل شيوخ هذه المدن على تدريس "منجى الطالبيين" للنواوي، وكذلك "المقدمات الحضرمية في فقه السادات الشافعية" للحضرمي، بالإضافة إلى كتاب سفينة النجاة "وهو يحفظ مع ترجمته السواحيلية"[25] .

كانت هناك كتاتيب لتعليم مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم بالإضافة إلى المسجد، وكان التعليم فيها مختلطاً فالأولاد والبنات معاً حتى سن البلوغ، وبعد ذلك يتم حجب البنات، حيث يكن قد تلقين قدراً من التعليم يساعدهن على استكمال ثقافتهن الدينية وذكر بعض المؤرخين أن أهل كلوه كانوا يحرصون على تعليم البنات، وأنه وجد بمدينتهم بعض الشيخات اللائي يقمن بتدريس القرآن وتحفيظه للنساء في منازلهن[26] .

ومن معالم انتشار الثقافة العربية الإسلامية في مملكة كلوه تلك الحلقات الدراسية التي ألقيت فيها المحاضرات وتسمى Darases وليس المقصود بها إعداد العلماء وإنما لتدريس اللغة العربية وتفسير القرآن والفقه لعامة الناس ، وقد أقيمت تلك الفصول بواسطة المشايخ بعد صلاة المغرب، ومن معالم الإسلام في شرق أفريقيا، تلك الحلقات الدراسية التي أقيمت في المساجد أو في منازل الأهالي الخاصة، وفي المسجد جلس المدرس أمام المحراب والطلبة في مواجهته[27]ويتلى النص ثم يترجم إلى السواحيلية، كما أنه كان يدرس لعامة الناس بعض كتب الفقه في تلك المساجد مثل كتاب" متن الزبد في الفقه " لأحمد بن رسلان"[28] .

وخلاصة القول أن النظام التعليمي في مملكة كلوه حظى بأهمية بالغة، وذلك بفضل رعاية سلاطين المملكة له وتمسكهم بمبادئ الدين الإسلامي، وقد أخذوا على عاتقهم إنشاء العديد من المراكز العلمية كالمساجد والمدارس وغيرها من منابر العلم التي أسهمت إسهاما فعالا في إثراء الحياة الثقافية في تلك المملكة.

المحور الرابع: الطرق الصوفية وأثرها على الحياة الثقافية بمملكة كلوه:

قامت الطرق الصوفية بدور مهم في نشر مبادئ الدين الإسلامي ونقل المؤثرات العربية والإسلامية إلى منطقة شرق أفريقيا ، فأفراد هذه الطرق قد تجردوا من المطامع الدنيوية ووهبوا عملهم لله وتفرغوا للدعوة للإسلام ونشر مبادئه، الأمر الذي مكنهم من القيام بدورهم الدعوي بكفاءة في تلك المناطق ، وقد كان لرجلات هذه الطرق مجالات غير التي كانت للتجار فإذا كان التجار يميلون إلى الاستقراء في المدن ، فإن رجال الطرق الصوفية يميلون إلى سكنى القرى والنجوع ، وإذ كان التجار يسعون للربح في مجال عملهم التجاري ، فإن رجال الطرق الصوفية لا يكترثون للمال إلا لما يسد رمقهم وهذا الذي جعلهم يلقبون بالفقراء[29] .

اكتسبت الطرق الصوفية مكانة مرموقة بين أهالي مملكة كلوة خلال فترة الدراسة ومما ساعدها على ذلك تكيفها مع بيئة المجتمعات الأفريقية وعاداتها وتقاليدها في تلك الديار حيث كانت الطقوس واستعمال الدفوف والطبول في حلقات الذكر قد وجدت قبولاً لدى الأفريقيين ، لأنها تخلط بين العبادة والحركات الراقصة[30] ومن أهم هذه الطرق الطريقة القادرية[31] والتيجانية[32] والشاذلية[33]وغيرها من الطرق وكانت لكل طريقة زواياها الخاصة التي يجتمع فيها المريدون للذكر، ولم يقتصر امتداد الطرق الصوفية على طول مدن الساحل وجزره، بل امتد ليشمل الداخل

أيضاً وقد ساهمت هذه الطرق بقدر وافر في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في ربوع هذه المملكة، وقد زاد عدد أتباع هذه الطرق بين المشتغلين بالتجارة بين العلماء والفقهاء، وقد لعب أتباع هذه الطرق دوراً دينياً وسياسياً مهماً كان له كثير من الأثر في تاريخ هذه البلاد وحضارتها ونهضتها[34].

يلاحظ أن كثيراً من التجار والمعلمين والدعاة كانوا من أتباع الطرق الصوفية، واختلطوا مع الوطنيين الأفارقة وتصاهروا معهم وأبدوا تسامحا مع معتنقي الديانة المسيحية والمعتقدات الوثنية الأخرى، وقد انتهجوا وسائل ساعدتهم على نشر الإسلام بصورة سلمية، ومن ذلك تأسيسهم للمساجد وفتح الكتاتيب التي يتردد عليها أبناء المسلمين وغيرهم، وبالإضافة إلى ذلك قاموا بشراء الرقيق وعتقهم لوجه الله وإعادتهم إلى أوطانهم ليعملوا مع إخوانهم على إشاعة الإخاء والعدالة والمساواة ونبذ التفرقة العنصرية والدعوة إلى المثل العليا وهداية الناس لما فيه صالح الدنيا والآخرة[35] .

وعلى الرغم من أن الطريقة القادرية هي أقوى الطرق الصوفية تأثيراً في شرق أفريقيا بوجه عام فإن الأمر يختلف من مدينة إلى أخرى على السواحل، ففي كلوه مثلاً سادت الطريقة الشاذلية بينما سادت الطريقة القادرية في مالندي[36] وقد تميزت الطريقة القادرية بأنها أكثر الطرق الصوفية ثقافة وتمدنا في الساحل وأفرادها لا يميلون إلى احتراف الزراعة والصناعة وإنما يقومون بمهنة التعليم[37].

ومن الطرق التي انتشرت في كلوه وبلاد الساحل الشرقي لأفريقيا خلال فترة الدراسة الطريقة الرفاعية، وهي الطريقة الوحيدة التي تسمح باستعمال الطبول كما ينشد مريدوها قصائد كثيرة باللغة السواحيلية أكثر من أية طريقة أخرى، ويمارس أتباعها بعض الأعمال الخاصة بطريقتهم، فيغرسون آلات حادة في أجسامهم، ويبتلعون النار ويروضون الثعابين، ومن الطرق الصوفية التي وجدت طريقها إلى كلوه " الطريقة العلوية" التي أسسها محمد بن علي بن محمد ت 653هـ / 1255م ولها شعبتان هما العيدروسية التي أنشأها الشريف أبوبكر بن عبد الله العيدروس المتوفي في عدن سنة 915هـ/ 1509م، والحدادية التي أنشأها عبد الله بن علوي بن أحمد الحداد المتوفي سنة 1125هـ/ 1720م[38] .

خلاصة القول أن مملكة كلوه خلال فترة الدراسة وصلتها طرق صوفية عديدة أسهم شيوخها في الدعوة إلى الإسلام بين الأفارقة، ويرجع إلى أولئك الشيوخ الفضل في الحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم وإقامة المساجد، الأمر الذي أسهم بشكل إيجابي في ازدهار الحياة الثقافية بمملكة كلوه خلال فترة البحث .

المحور الخامس: اللغة العربية وأثرها في الحياة الثقافية بمملكة كلوه:

أخذت اللغة العربية مكانة مقدسة منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي بظهور الإسلام وعبوره الساحل الشرقي، إذ اقتضى إسلام الأفارقة معرفة كثير من مفردات اللغة العربية وألفاظها وصيغها مع معانيها، فهي لغة الدين الحنيف، وقد حفظ تبعاً لذلك عن ظهر قلب آيات وسور من القرآن الكريم لتقرأ وتتلى في الصلوات الخمس بجانب الأدعية، كذلك حفظوا مجموعة من الأحاديث الشريفة، وعرفوا معانيها بوصفها مكملة لفهم الدين ومعرفته الحقة[39] .

الحياة الثقافية بمملكة كلوه الإسلامية

وعلى الرغم من أن السواحيلية لغة أفريقية فإننا نرى عناصر الحضارة العربية تطل بوضوح تام في ثقافتها[40]وقد دفع ارتباط السواحيليين بالإسلام إلى الاهتمام باللغة العربية لذلك قامت جماعات تدرس علوم فقه اللغة بجانب العلوم الشرعية مما أثرى فهمهم ومفاهيمهم وثقافتهم العربية، ولا جدال في أن اللغة العربية قد اقترنت بالدين وتعاليمه وقيمه وموروثاته اقتراناً وثيقاً، وتمت بها المراسلات، وكانت لغة الاتصالات في الداخل مع الخارج في أنحاء العالم العربي والإسلامي، وألفت بها كتب الدين، وذبجت بها القصائد، ونظمت بها المدائح النبوية، وسجلت بحروفها سلسلة الأنساب، وحفرت حروفها على محاريب المساجد وشواهد القبور[41].

احتلت العربية عند أهالي مملكة كلوه بذلك مكانة مرموقة في أمور الدنيا والدين، ولم يكن لها بديل عند الذين تأثروا بالثقافة الإسلامية إلى فهم دينهم وشئون آخرتهم، ومن هنا انبعثت أهمية اللغة العربية لكمال الدين ومعرفته والتفقه في شرعه والتبصر في غزير آياته، ولحفظ حكمه البالغة من التبديل والتحريف والتزوير.

لم يقتصر تأثير العربية على الساحل الإفريقي على الجانب الديني بل امتد ليشمل الثقافة بمعناها ومدلولها الواسع، فقد أدى انتشارها إلى التغيير في معاملات الناس وسلوكهم وفي تفكيرهم، كما أدى إلى احتكاك حضاري نقلت بموجبه الحضارة العربية بمؤثراتها إلى القارة وسكانها ووجدت في شرق القارة وبطول ساحلها الشرقي مراكز إشعاع ثقافية مهمة في كلوه وسفالة ومالندي وغيرها من الثغور[42]وقد تحدث ابن بطوطة مؤرخ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي حين زار مدن الساحل الشرقي في أفريقيا عما شاهده في مدن الساحل وعن ثقافة الناس بها وتمسك الكثيرين بتعاليم الإسلام وإلى غير ذلك من مظاهر الثقافة[43]، كما أشار الرحالة والكتاب الأجانب إلى ذلك[44].

شاعت في مملكة كلوه عادة اقتناء المخطوطات وجمعها بخطوط مؤلفيها، واهتم أبناء كلوه بإنشاء المكتبات العامة والخاصة، وتسابقوا في اقتناء النادر من المخطوطات والكتب التي تحتوي على أخبار المنطقة وتاريخها.

على هذا النحو طغت العربية في شئون الحياة الفكرية، فبقيت عندهم لغة الكتابة الرسمية بجانب أنها لغة المحاكم الإسلامية الشرعية، فكتبت بها عقود الزواج وجميع العقود في البيع والشراء وفي العتق[45] .

المحور السادس: أشهر العلماء ودورهم في الحياة الثقافية:

لقد كان من نتاج الحياة الثقافية بمملكة كلوه الإسلامية خلال فترة الدراسة بروز مجموعة من العلماء الذين برعوا في العديد من العلوم بمختلف أنواعها كالدينية والتاريخية واللغوية، وقد كتب هؤلاء العلماء إنتاجهم العلمي باللغة العربية، وخلفوا تراثاً علمياً هائلاً في شتى نواحي المعرفة الإنسانية، الأمر الذي جعلهم يحظون برعاية كبيرة من الحكام وسلاطين تلك المملكة الذين شجعوا الحركة العلمية والثقافية وباركوها واسقطوا على هؤلاء العلماء وظائف السلطنة وغراماتها، ومنعوا عنهم ظلم أمراء الأقاليم ونسبوا إليهم الكرامات وكانوا يقيمون الأضرحة لمن مات منهم، ويتقدمون بالذبائح إلى تلك المقامات[46] ومن هؤلاء العلماء الذين حظوا بتلك المكانة المرموقة في تلك المملكة الشيخ سميط[47] والذي تولى منصب قاضي قضاة كلوه ، والقاضي على حميدة قاضي قضاة كلوه، وحسن الشيرازي ذلك العالم الذي نبغ في علوم الحديث والتفسير[48]، إضافة إلى الشيخ علي بن

إبراهيم نور الدين المفتي الذي قرأ الفقه والفرائض والحساب كما برز في تلك المملكة خلال فترة الدراسة العالم الجليل آدم أبوبكر الجبرتي من علماء اللغة العربية البارزين [49] .

لم يقتصر ازدهار الحياة الثقافية في مملكة كلوه على علماء تلك المملكة فحسب، بل شمل أيضاً بعض من العلماء الذين توافدوا على كلوه من مختلف الأقطار الإسلامية للتدريس في المدارس التي قامت في البلاد وفي المساجد إحساساً من هؤلاء بواجبهم تجاه إخوانهم في تلك المملكة وإسهاماً منهم في نشر الثقافة العربية والإسلامية بها ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين طافوا أرجاء العالم الإسلامي ثم استقروا في كلوه الشيخ الفقيه عمر بن عثمان الفولاني، ت 718هـ / 1227م ووصف بأنه من قراء القرآن الكريم ومن الراسخين في الدراسات الإسلامية واللغة العربية وعلم التصوف[50].

كما نشير إلى الفقيه والقاضي محمود بن محمد بن أقيت، ت 887هـ / 1396م من علماء السودان الغربي ، رحل إلى مصر والحجاز لأداء فريضة الحج وبعد أدائه لفريضة الحج شد الرحال إلى مملكة كلوه وأخذ على عاتقه تعليم طلاب تلك المملكة علوم الفقه والأصول وعلم الكلام الأمر الذي جُعل منه موسوعة علمية في تلك الديار [51].

وخلاصة القول فقد كان لعلماء مملكة كلوه دوراً بارزاً في إثراء الثقافة العربية والإسلامية بجميع فروعها بتلك المملكة وقد كان لهؤلاء العلماء مكانة بارزة لدى سلاطين كلوه الذين احترموهم واسقطوا عنهم وظائف السلطنة.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة توصلت إلى عدة نتائج:

- أبرز البحث أن لنشأة مملكة كلوه الإسلامية على ساحل أفريقيا الشرقي أهمية كبرى في جميع جوانب حياتها الثقافية، حيث استطاعت بفضل نشأتها الإسلامية أن تكون مركزاً من مراكز العلم وعاصمة من عواصم الثقافة ليس في شرق أفريقيا فحسب، بل في بلدان العالم الإسلامي.
- أكد البحث أن ازدهار الحياة العلمية والثقافية بتلك المملكة يرجع إلى انتشار الدين الإسلامي واللغة العربية، الأمر الذي أسهم مساهمة محمودة في انتشار العلوم المختلفة في طول المملكة وعرضها.
- أظهر البحث أهمية النظام التعليمي في مملكة كلوه الإسلامية خلال فترة الدراسة وذلك بفضل انتشار المؤسسات الثقافية كالمساجد والمدارس وغيرها من منابر العلم والثقافة التي أخذت على عاتقها إثراء الحياة الثقافية في تلك المملكة.
- أوضح البحث أن الطرق الصوفية لعبت دوراً مهماً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في مملكة كلوه خلال فترة البحث على أيدي شيوخ هذه الطرق الذين كانوا يقومون بالوعظ والإرشاد.
- خلص البحث أن اللغة العربية كانت لغة المراسلات لمملكة كلوه الإسلامية ، كما أنها كانت لغة التخاطب بين الجماعات المختلفة باعتبارها لغة القرآن الكريم وبها يؤدي المسلم صلاته وبواسطتها يلم بعلوم الدين.
- أبرز البحث أن علماء مملكة كلوه قد ساهموا مساهمة محمودة في إثراء الحياة الثقافية بتلك المملكة حيث أضافوا علوماً جديدة من خلال مؤلفاتهم بشتى فروعها المختلفة.

الهوامش

1. رحلة ابن بطوطة (دار الكتب اللبناني، بيروت، 1966) ص 163.
2. معجم البلدان (دار صادر ، بيروت، د. ت) ج4، ص 478 ـ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب (ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، بيروت، 1987م) ص 334 ،335.
3. تحفة الدهر في عجائب البر والبحر (بطرسبورج، 1965) ص150.
4. مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع (القاهرة، 1955) ج3،ص1173.
5. تقع في جنوب إيران ويسكنها الجنس الغربي .

أنظر : جورج فاضلوا حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور الوسطى (القاهرة ،1958م) ص54.

6. أدميرال جيان: وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية(ترجمة يوسف كمال ، القاهرة، 1927) ص 87 ، 88.
7. هيام عبد الرحمن : شرق أفريقيا عند الكتاب العرب (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، 2002م) ص 47 ـ محمد النقيرة: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا (الرياض، د.ت) ص 90-91.

Joseph, m:des masalman En Afriqae paris 1975, p.32

8. الإسلام في شرق أفريقيا (مكتبة الأنجلو المصرية، 1972) ص2.
9. ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 201.
10. هو أبو المظفر حسن الذي كان حاكماً على مملكة كلوه أثناء زيارة الرحالة العربي ابن بطوطة ،وكان يلقب بأبي المواهب وذلك لكثرة مواهبه ومكارمه.

للمزيد : انظر: ابن بطوطة : رحلته ، ص163

11. محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الإفريقية في العصور الوسطى (القاهرة ، 1977) ص 52 .
12. الطوسي: كتاب اللمع في التصوف(تحقيق عبد الحليم محمود، القاهرة، 1960) ص 112، 113 ـ الزنجباري: السلوة في أخبار كلوه (تحقيق محمد علي الطلحي ، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1985) ص34.

13 . Haling sworth, L:A short History of the East coast of Afrka, London, 1957, p.45

14. أحمد أمين: ضحى الإسلام (القاهرة ، 1979) ص 50.

15. ذكر ابن بطوطة أنه عند زيارته لمقديشيو نزل بدار الضيافة الخاصة بطلبة المدارس التي كان يشرف عليها القاضي .

للمزيد : انظر ابن بطوطة : رحلته، ص 153.

16. القلقشندي : صبح الأعشى (تحقيق محمد حسن شمس الدين، القاهرة، 1915م)ج 5، ص330.

17.الإسلام في شرق أفريقيا ، ص 159.

18. Free man,G: the medieval History of the coast . of Tanyanika, Berlin, 1962, p.100,101.

19.محمد عبد الكريم: تاريخ التعليم في الصومال(مقديشو، 1978)ص12 - العيدروس: بغية الآمال في تاريخ الصومال(مقديشو، 1955)ص39.

20. عبد العزيز الشناوي: الأزهر جامعا وجامعة (القاهرة، 1983) ج1،ص49.

21. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص257.

22. ينسب المذهب الشافعي إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، وهو أحد الأئمة الأربعة بإفريقيا الشرقية مع التجار والدعاة اليمنيين.

أنظر: الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (دار الكتب العلمية ، بيروت، 1960) ص128.

23.السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع(القاهرة، 1353هـ) ج1 ص 232 - ابن تغرى بردى: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي(تحقيق أحمد نجاتي القاهرة،1956) ص 226-227.

24. تقع إلى الساحل الشرقي لأفريقيا المواجه لكينيا ،وقد وصلها العرب المسلمون خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي .

للمزيد: انظر : حورية توفيق مجاهد : الإسلام في أفريقيا ودوافع المسيحية والديانة التقليدية (مكتبة الأنجلو المصرية، 2002) ص55 ، 56.

25.العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار(تحقيق عبد القادر فريسات ،ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001م) ج4، ص 183 - المقريزي : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (القاهرة، 1895م)ص6.

26. سبسر ترمنجهام: مرجع سابق، ص 160-161.

27. سيد أحمد العراقي: معالم الحضارة في ساحل شرق إفريقيا (مجلة دراسات إفريقية، أبريل،1986) ص30.

28. Freeman, G. op Cit , p . 14 .

29. أمحمد مصباح الأحمد: تاريخ العلاقات العربية الأفريقية (دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001م) ص 16 ، 17.

30 . محمد محمد أمين: المرجع السابق،ص 28.

31. تسمى أحياناً بالطريقة الجيلانية وتنسب إلى مؤسسها عبد القادر الجيلاني 471-561 هـ/1078- 1165م وقد انتشرت في بلاد المشرق الإسلامي ومنها إلى ساحل أفريقيا الشرقي.

انظر: محمد علي المصليحي: التصوف الإسلامي (دار الكتب العربية، بيروت،1982) ص 112،113.

32. تنسب إلى أحمد بن محمد المختار التيجاني، ولد في جنوب الجزائر سنة 1150هـ/1737م وانتقل إلى فاس حيث تأثر ببعض الطرق الصوفية ثم أنشأ طريقته التي انتشرت في المشرق الإسلامي ومنها إلى شرق أفريقيا.

للمزيد: انظر: إسماعيل العربي: معجم الفرق والمذاهب الإسلامية (دار الآفاق، المغرب، 1993م) ص83 ،84.

33. تنسب إلى الشيخ أبو الحسن بن علي بن عبد الله الشاذلي ولد عام 593هـ / 1196م في منطقة قرب جبل زفران في تونس، ثم رحل إلى مصر وذاع صيته ولقيت طريقته إقبالاً كبيراً هناك، توفي سنة 656هـ / 1258م أثناء عودته من رحلة الحج في تلك السنة.

انظر: المصليحي : التصوف الإسلامي ، ص 120.

34. ترمنجهام: مرجع سابق، ص 37.

35. محمود محمد الحوير: ساحل شرق أفريقيا منذ فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي (ط1، 1986م) ص54.

36. محمد أبو زهرة: الدعوة إلى الإسلام (القاهرة، بدون تاريخ) ص 117، 118.

37. عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب(القاهرة، 1956) ص 245، 246.

38. Triminy ham : Islam in East Africa, London , 1964 , p. 101, 102.

39. الشاطر بصيلي: دويلات عربية على الشاطئ الأفريقي (مجلة نهضة أفريقيا، العدد العاشر، القاهرة، 1949م) ص 243

40. يوسف فضل حسن: انتشار الإسلام في سودان واودي النيل " ورقة مقدمة في ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية " (الخرطوم ، 1983) ص 33.

41. حمدي السيد سالم: الصومال قديماً وحديثاً (مقديشيو، 1965)ج2، ص 55.

42. Britannica: Vo.p.629 .Encyklopaedia

43. رحلة ابن بطوطة، ص 129.

44. Coupland , R: East Africa . Ist . invaders,(oxford, 1938) . p. 39

45. Ceralli Enrico : Somali: a, vol. l(Roma, 1957) , p. 10-11

46. الزنجباري: المصدر السابق، ص 212 ، 213.

47. من علماء حضرموت ، أخذ العلم على يد الشيخ فضل باشا بن علوي أحد مشاهير علماء الإسلام في حضرموت ثم التحق بالأزهر الشريف لفترة قصيرة، ثم سافر إلى مكة ومنها إلى كلوه وقضى بقية حياته بها يعمل في القضاء وتدريس العلوم الدينية .

للمزيد: أنظر: العيدروس : بغية الآمال في تاريخ الصومال، ص 87 ، 89 .

48. حورية توفيق مجاهد: المرجع السابق، ص 37-40 ـ هيام عبد الرحمن : شرق أفريقيا عند الكتاب العرب (رسالة ماجستير) ص 117.

49. الزنجباري : المصدر السابق، ص 125.

50. حورية مجاهد: المرجع السابق، ص 45.

51. عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ص 57.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

1 ـ الأصفهاني (أحمد بن عبد الله ، ت 430هـ /1038م) : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1960م.

2 ـ ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد ، ت 779هـ / 1377 م) : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروفة برحلة ابن بطوطة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1966م.

3 ـ البغدادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، ت 429هـ / 1039م) : مراصد الإطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع ، ج3، القاهرة، 1955م.

4 ـ ابن تغري بردى (جمال الدين أبو العباس يوسف، ت 874هـ / 1487م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: أحمد نجاتي، القاهرة، 1956م.

5 ـ الدمشقي (محمد بن أبي طالب الأنصاري، ت 727هـ/ 1326م) : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطرسبورج، 1865م.

6 ـ الزنجباري (محي الدين) : السلوه في أخبار كلوه، تحقيق: محمد علي الصلحي، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1985م.

7 ـ السخاوي (شمس الدين محمد عبد الرحمن بن محمد، ت 903هـ / 1497م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، 1353هـ.

8 ـ الطوسي (عبد الله بن علي بن محمد بن يحي، ت 378هـ / 988م): كتاب اللمع في التصوف ، تحقيق: عبد الحليم محمود، القاهرة، 1960م.

9 ـ ابن فضل العمري (شهاب الدين أحمد بن يحي ، ت749هـ / 1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: عبد القادر فريسات، ج4، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001م.

10 ـ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت 821هـ / 1418م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسن شمس الدين، ج5، القاهرة، 1915م.

11 ـ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت 845هـ / 1441م): الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، القاهرة، 1895م.

12 ـ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله الحموي الرومي، ت 626هـ / 1228م) معجم البلدان، ج4 ، دار صادر، بيروت، د.ت.

ثانياً- المراجع:

13- الأحمد، محمد مصباح: تاريخ العلاقات العربية الأفريقية، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت، 2001م.

14 - أبو زهرة، محمد عبد الرحمن: الدعوة إلى الإسلام، القاهرة، د.ت .

15 - أمين، أحمد: ضحى الإسلام، القاهرة، 1979م.

16 - أمين ، محمد محمد: تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، القاهرة، 1977م.

17 - ترمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، 1972م.

18 - جيان، أدميرال: وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية، ترجمة: يوسف كمال، القاهرة، 1927م.

19 - حوراني، جورج فاضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور الوسطى، القاهرة، 1958م.

20 - الحويري، محمود محمد : ساحل شرق أفريقيا منذ فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، ط1، 1986م.

21 - سالم، حمدي السيد: الصومال قديماً وحديثاً، ج2، مقديشيو، 1965م.

22 - الشناوي ، عبد العزيز: الأزهر جامعاً وجامعة، القاهرة، 1983م.

23 - عابدين، عبد المجيد: بين الحبشة والعرب، القاهرة، 1956م.

24 - عبد الكريم ، محمد: تاريخ التعليم في الصومال، مقديشو، 1987م.

25 - العيدروس، عيدروس بن علي: بغية الآمال في تاريخ الصومال، مقديشو، 1955م.

26 - العربي، إسماعيل: معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، دار الآفاق، المغرب،1993م.

27 - كراتشكوفسكي، أغناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب ، ترجمة: صلاح الدين عثمان، بيروت، 1987م.

28 - مجاهد، حورية توفيق: الإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية، مكتبة الأنجلو المصرية،2002م.

29 - المصليحي، محمد علي: التصوف الإسلامي ، دار الكتب العربية، بيروت،1982م.

30 - النقيرة، محمد: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، الرياض: د.ت.

ثالثاً- الدوريات:

31 ـ بصيلي، الشاطر: دويلات عربية على الشاطئ الأفريقي، مجلة نهضة أفريقيا، العدد 10، القاهرة، 1949م.

32 ـ حسن، يوسف فضل : انتشار الإسلام في سودان وادي النيل، ورقة مقدمة في ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية، الخرطوم، 1983م.

33 ـ العراقي، سيد أحمد: معالم الحضارة الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى، مجلة دراسات أفريقية، 1986م.

رابعاً ـ الرسائل العلمية:

34 ـ عبد الرحمن ، هيام: شرق أفريقيا عند الكتاب العرب، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس، القاهرة، 2002م.

خامساً ـ المراجع الأجنبية:

- 35 Cerulli Enrico : Somalia, Rome, 1957
- 36 Coupland, R. East Africa Its Invaders oxford, 1938
- 37 Fhret, C: Ethiopians East Africa, London. 1979
- 38Hallings worth , L: A short History of the East coast of Africa, London, 1957
- 39 Joseph, M: des musulman En Afrique, paris . 1975.
- 40 Trimingham : lslam In East Africa, London, 1964